بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣
أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ
٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩
فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ
مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦
قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ
خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا
شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ
٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا
حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ
وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ
ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ
ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ
٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠

سورة عبس

سورة عبس مكيّة وآياتها ثنتان وأربعون آية.

[١-٢-٣-٤] افتتحت هذه السورة بإرشاد النبي ﷺ إلىٰ كيفية التعامل مع ضعفاء المسلمين. فبين جل وعلا أن الرسول ﷺ ظهر علىٰ وجهه التغير والعبوس عندما جاءه الأعمىٰ عبدالله بن أم مكتوم يسأله عن أمور دينه؛ فأعرض عنه ﷺ لأنه قطع عليه كلامه في حين أنه كان ﷺ منشغلًا بدعوة صناديد قريش، أمثال: عتبة وشيبة وأبي جهل والوليد بن المغيرة؛ طمعًا في إسلامهم. ثم قال جل وعلا معاتبًا نبيه ﷺ: وما يُعلمك ويُخبرك عن حال هذا الأعمىٰ يانبي الله فلعله بسؤاله يتطهر من ذنوبه، أو ينتفع بما يسمعه فيتعظ ويعتبر ويستنير قلبه بنور الإيمان. أما الزعماء الذين عبست في وجه الأعمىٰ لأجلهم فقد وصلتهم الدعوة وليس عليك إلا البلاغ وقد فعلت. ولاحظ أن الله جل وعلا قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، ولم يقل: (عبست وتوليت)؛ وكأن الحديث عن شخص آخر؛ لأن المقصود هو العتاب والإرشاد.

[٥-٦-٧-٨-٩-١٠] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ علىٰ وجه التفصيل: أما من جاءك يانبي الله وهو مستغنٍ بماله معرضٌ عن دين الله فهل يصح أن تتعرض له وتهتم بكلامه. في حين أنه ليس عليك ذنب أو مسئولية إذا لم يتطهر من دنس الكفر والعصيان. وأما هذا الأعمىٰ الذي جاء إليك بنفسه مسرعًا خائفًا من عذاب الله وعقابه، فأنت تتشاغل وتتلهىٰ عنه بالانصراف عنه إلىٰ رؤساء الكفر لدعوتهم.

[١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦] فاعلم يانبي الله أن الأمر ليس كما فعلت؛ بل الأمر أن مثل هذا الإعراض لا يصح أن يقع مع ملتمس الهدىٰ والرشاد، ولو كان الصارف لك عن ذلك أمر في صالح الإسلام، وما هذه السورة وما فيها من إرشادات إلا موعظة وتذكرة لك، ولمن شاء الاتعاظ من عباد الله، واعلم أن هذه المواعظ مثبتة في صحفٍ معظَّمة موقَّرة، رفيعة القدر عند الله، مطهَّرةٍ مصونة. وإنها بأيدي ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله، وهؤلاء الملائكة كرام علىٰ الله وأبرار أطهار.

[١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣] ثم دعا سبحانه علىٰ الإنسان الكافر فقال: قاتل الله هذا الكافر ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسان الله إليه؟ ثم لام سبحانه الكفرة المعاندين فقال: ألم ينظر هذا الإنسان إلىٰ أصل خلقه من أنه خُلق من نطفة حقيرة حتىٰ يستغني عن الإيمان بربِّه؟ وهذه النطفة جعلها سبحانه مقدرة في رحم أمه أطوارًا حتىٰ تم خلقه، ثم بعد هذه الأطوار التي عاشَها في رحم أمه سهل الله له الخروجَ، ثم هداه النجدين وسهل له الهدىٰ إن رغب والعصيان إن رغب، ثم أنعم الله عليه إذا مات أن يواريٰ في القبر تكريمًا له، ثم إذا شاء سبحانه أحياه وبعثه بعد موته للحساب والجزاء؛ فليرتدع الكافر وينزجر عن تكبره وتجبره فإنه مع الإحسان إليه وتسويته بأحسن صورة وإبلاغه التكاليف الشرعية فإنه لم يؤد ما فرض الله عليه من الإيمان والعمل الصالح.

[٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢] ثم أرشد سبحانه الإنسان إلىٰ التدبر في أمر طعامه وكيف وصل إليه بعد أن مر في مراحل متعددة. فأخبر سبحانه أنه بقدرته أنزل الماء من السحاب علىٰ الأرض. ثم شق الأرض بخروج النبات منها شقًّا بديعًا. ثم أنبت سبحانه في الأرض أنواع الحبوب كالحنطة والشعير. وأنبت فيها أنواع العنب اللذيذ، وأنواع الخضار كالخس والبقدونس والنعنع والجرجير. وأنبت فيها أشجار الزيتون والنخيل. وأنبت فيها البساتين والحدائق ذات الأشجار الكثيرة الملتفَّة. وأنبت فيها أنواع الفاكهة، وهكذا أنبت فيها الأبَّ، وهو التبن وما تأكله البهائم والأنعام. ثم أخبر أنه جعل هذا الطعامَ منفعةً لكم تنتفعونَ به أنتم وأنعامكم.

[٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧] ثم ختم جل وعلا السورة بالحديث عن أهوال يوم القيامة فقال سبحانه: فإذا جاءت صيحة القيامة التي تصخ الآذان حتىٰ تكاد أن تصمها؛ حينئذ يندم المفرطون. وفي هذا اليوم يفر المرء من أعز الناس عنده وكل يقول نفسي نفسي، فيفرّ من أخيه. وأمه وأبيه. وزوجته وبنيه. لكل واحدٍ منهم في ذلك اليوم همٌّ يشغله عن أقربائه ويصرفه عنهم.

[٣٨-٣٩-٤٠] وفي هذا اليوم العظيم يوم القيامة تبيض وجوه، وتضحك وتستبشر، وهي وجوه أهل التوحيد والإيمان، وهناك وجوه عليها غبار وعبوس لهول ما هم إليه ذاهبون.

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

[٤١-٤٢] ثم بين جل وعلا أن هذه الوجوه التي عليها غبره تعلوها وتغشاها الذلة والصَّغار والسواد والظلمة، ثم ختم سبحانه الآيات مبينًا أن الوجوه الموصوفة بتلك الأوصاف هي وجوه أولئك الذين جمعوا بين الكفر والفجور؛ فلذلك جمع الله لهم بين السواد والغبار.

سورة التّكوير

سورة التكوير مكيّة وآياتها تسع وعشرون آية.

[١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤] بدأ جل وعلا بهذه الإقسامات حيث أقسم سبحانه بالشمس إذا تدورت وصارت مثل الكرة ومحي ضوؤها، وأخرجت من مسارها ورمي بها في النار. وأقسم بالنجوم إذا وقعت وتهاوت وتناثرت. وأقسم بالجبال إذا قلعت عن الأرض ونسفت عن أماكنها، وتفتتت وسارت في الهواء غبارًا. وأقسم بالنوق التي ببطنها أجنتها إذا تركت هملًا، وهي أنفس الإبل عند العرب. وأقسم بالوحوش إذا جمعت وهي في حالة ذهول من شدة الفزع لكي يقضىٰ من بعضها البعض. وأقسم بالبحار إذا تأججت نارًا. وأقسم بالنفوس إذا جمعت بأشباهها، فيجمع الأبرار مع الأبرار، والفجار مع الفجار، وأقسم بالمؤمنين إذا زوجوا بالحور العين. وأقسم بالموءودة إذا سئلت عن السبب الذي لأجله قتلت، فإنها ستجيب أنها قتلت بلا ذنب جنته، ولكن المقصود هو تقريع وتبكيت الوائدين لبناتهم. وأقسم بصحف الأعمال إذا تطايرت لتقع في أيدي أصحابها في موقف الحساب حتىٰ لا يرتابوا فيها؛ المؤمن بيده اليمنىٰ، والكافر بيده اليسرىٰ. وأقسم بالسماء إذا نزعت كما يُنزع الجلد من الذبيحة وصارت كالمهل. وأقسم بالنار إذا أُجِّجَتْ وأوقدتْ وأُضرمت. وأقسم بالجنة إذا أدنيت من عباد الله الصالحين: أي أعدت لنزولهم.

[١٤] ثم جاء جواب القسم لكل ما سبق حيث أخبر سبحانه أنه إذا وقعت كل هذه الأحداث فقد تَيَقَّنَتْ وَوَجَدَتْ كل نفس ما قدمت من خير أو شر. **قال الشيخ ابن عثيمين في درس التفسير عندما** سُئل عن قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١]، فقال: إن الشمس تدنو من الرؤوس قدر ميل، وإن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، فتتعدد المواقف والحالات، فيكلم ويختم ويحشر المجرمون زُرْقًا، ثم تَسْوَدُّ وجوههم، وهو وقت يحتمل كل الحالات المذكورة فيه، وقد أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر قال: قال ﷺ: «**من سره أن ينظر إلىٰ يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت**»(١).

[١٥-١٦-١٧-١٨] ثم أقسم سبحانه قسمًا مؤكدًا بالخنس، وهي: النجوم المضيئة التي تختفي بالنهار، وتظهر بالليل. وأقسم بالنجوم التي تسير في أفلاكها ثم تستتر وقت غروبها. وأقسمَ بالليل إذا أقبل أو أدبر. وأقسم بالصبح حين يمتد حتىٰ يصير نهارًا بينًا.

[١٩-٢٠-٢١-٢٢] ثم جاء جواب القسم مؤكدًا بعدة تأكيدات: أن هذا القرآن المنزل علىٰ النبي ﷺ بواسطة جبريل هو كلام الله. وأن جبريل ذو قوة شديدة في القيام بما كلف به، وأنه ذو جاه ومنزلة عند ربه. وهو مطاع في الملأ الأعلىٰ تطيعه الملائكة المقربون، وأنه مؤتمن علىٰ الوحي. وأن صاحبكم محمدًا ﷺ الذي أرسل إليكم أيها العرب في مكة ليس بمجنون.

[٢٣-٢٤-٢٥] ثم أقسم جل وعلا أن النبي ﷺ رأىٰ جبريل علىٰ صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وهو مقبل من جهة المشرق بمطلع الشمس قد سد الأفق. وأقسم أن محمدًا ﷺ ليس ببخيل بتبليغ ما أمر بتبليغه، ولا متهم بالتقصير ولا غيره. واعلموا أن هذا الذي يتكلم به محمد ﷺ وهو القرآن الكريم ليس بقول ألقاه الشيطان علىٰ لسانه كما افتريتم وزعمتم.

[٢٦] ثم وبخهم جل وعلا فقال لهم: فأي طريق تسلكون في تكذيبكم لهذا القرآن أيها المشركون؟

[٢٧-٢٨] ثم بين سبحانه أن هذا القرآن موعظة للخلق أجمعين، وتذكير لمن شاء الاستقامة علىٰ الحق والإيمان والطاعة.

[٢٩] واعلموا أنكم لا تقدرون علىٰ فعل أي شيء ومن ذلك الاستقامة إلا بعد أن يأذن الله بذلك، وقد تكرم سبحانه علىٰ عباده وجعلهم مختارين؛ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٨٠٦، ٤٩٣٤)، و الترمذي (٣٣٣٣)، وصححه الألباني.